عبادة الأولياء[(١)]

يقول كارل هينرش بكر[(٢)] في مقاله تراث الأوائل في الشرق والغرب؛ ما يأتي: «من الثابت أن الغنوص[(٣)] قد أثر في إيجاد هذه الصورة التي صورتها العصور الوسطىٰ المتأخرة لمحمد ﷺ، وكان سببًا - أيضًا - في إيجاد ما يشبه عبادة محمد، وهذه العبادة وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الإسلام الأول كل المخالفة؛ أما أولياء الله في الإسلام ففي مقابل الأرواح القدسية[(٤)] في الهلينية، حتىٰ إن محمدًا - وهو نموذجهم الأعلىٰ - ينتهي بأن يصبح هو العقل الأول

---

(١) مجلة الهدي النبوي (١٠، ١١ / ١٣٦٧).

(٢) صـ(١٢) من التراث اليوناني ترجمة عبد الرحمن بدوي.

(٣) **معناها الاصطلاحي**: إدراك كنه الأسرار الربانية بوساطة نوع سام من المعرفة؛ يقابل الكشف عند الصوفية، والذي أعطاها هذا المعنىٰ جماعة عاشوا في القرون الأربعة الأولىٰ من الميلاد، ومنهم مسيحيون، ويهود، ووثنيون، منهم كليمانس ومرقيون، وكونوا من أخلاط الفلسفة اليونانية الأفلاطونية والفيثاغورثية والرواقية، والتفكير الشرقي الفارسي والسرياني واللاهوت اليهودي؛ كونوا من هذا كله نوعًا من الصوفية، وتعترف هذه النحلة بالوسطاء؛ فالذات الإلهية - عندهم - يصدر عنها العقل، ثم النوسه، ثم اللوغوس، ثم الأنثرد برسي ويتلوها كائنات روحية، ويستطيع الإنسان عندهم عن طريق الخلاص أن يعود إلىٰ الذات الإلهية.

(٤) هي الكائنات الوسيطة بين الإله والإنسان عند هؤلاء الهلينيين؛ والهلينيون هم الأغريق قبل أن يختلطوا بالرومان كان لهذه الأفكار أثرها أيضًا.

الموجود منذ الأزل، وأن يكون الرحيم المخلص القدير...

وإلىٰ جانب تأثير الأفكار الأفلاطونية المحدثة والفيثاغورية المحدثة في الفرق الصوفية المختلفة والذي يعنينا من هذا النص اعتراف رجل أجنبي بأن مظاهر عبادة الأولياء ليست من الإسلام، ويقول متز: «وأما إكبار الأولياء فهو مذهب نصراني أحدثه المتصوفة في الإسلام، وقسموا به الأولياء الذين هم ولاة العالم، وأصحاب الحل والعقد فيه إلىٰ أقسام، فهناك الأخيار، والأبدال، والأبرار، والأوتاد، والنقباء، وهناك القطب أو الغوث»[١].

وهذا رجل ثان أجنبي يعترف أيضًا بأن ذلك مذهب نصراني....

ويقول رونلدسن: «بالرغم من التوحيد المصرح به القرآن فإن الأمم الإسلامية لا زالت تحتفظ بكثير من العادات الوثنية، فإن من أهم الصفحات في الحياة الدينية للعوام في جميع البلاد الإسلامية هو تقديسهم قبور الصالحين، وفي هاتين القضيتينساير العلماء اندفاع الرأي العام»[٢].

ألا يخزىٰ بعض ساداتنا العلماء إذ يرون أولئك الأجانب عن الإسلام يصدعون بالحق في هذه المسألة؟!... وبقدر ما يختلف الكاتبون عن الإسلام من فلاسفة الأجانب ومستشرقيهم؛ فإنهم يجمعون جميعًا علىٰ أمر واحد، وهو تشدد الإسلام في التوحيد، وأن التوسل بالأولياء وقبورهم ليس من الإسلام، فجولدزيهر في كتابه: تطور العقيدة والشريعة، وليون جوتييه في كتابه: المدخل إلىٰ

---

(١) نقلًا عن كتاب الحركة الفكرية في مصر للدكتور عبد اللطيف حمزة ص(١٠٢).

(٢) صفحة (٢٦٦) من كتاب: عقيدة الشيعة، تعريب ع. م، وتأليف راويت. م رونلدسن.

الفلسفة، وجوستاف لوبون في كتابه: تطور الحضارة، وهؤلاء الذين نقلنا عنهم الآن أجمعوا علىٰ أن عقيدة التوحيد جلية تمام الجلاء في القرآن، وعلىٰ أن تقديس الأولياء، والتوسل بهم وبقبورهم مخالف لروح الإسلام، واعتبره ليون جوتييه تغيرًا خطيرًا في عقلية المسلمين. فما رأي السادة العلماء؟

وما رأي فضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنا[١] - المرشد العام للإخوان المسلمين - الذي كتب في مذكراته عن الدعوة والداعية في العام الهجري الماضي أن التوسل بالأولياء مسألة خلافية كقراءة الفاتحة أو عدمها بين الحنفية والشافعية، وأنها لا يجوز أن تفرق بين المسلم وأخيه المسلم؛ وإن كان الشافعي يجيز لنفسه الصلاة وراء الحنفي؛ فلماذا يبتعد غير المتوسل عن المتوسل؟

ألا يرىٰ فضيلته أن هذا رأي خطير يبعد بالإخوان عن حقيقة الدين الأولىٰ؟ ألا يرىٰ أن هذا الرأي واعتناق الأستاذ له، ونشره في جريدته السيارة يودي بكثير من عقائد الإخوان الذين يرون أن ما ينطق به الأستاذ لا ينطقه عن هوىٰ؟

إن فضيلة الأستاذ يؤكد لنا أن أتباعه تزيد عن المليون، فما رأي فضيلته لو أن مليونًا اعتنقوا مسألة التوسل، وأباحوها، مؤكدين للدهماء أنهم هم المسلمون؟!

وهل التوسل من الإسلام الذي تؤكد أنت أنه دين العزة، والقوة، والكرامة؟! وهل خضوع النفس في تدينها، وذلها لقبر، ولمقبور عزة، وقوة، وكرامة؟!

لعل فضيلة الأستاذ يراجع نفسه، فيصدع بالحق، الذي نرجو أن يؤمن به هو في

---

(١) هو حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، ولد بمركز المحمودية بالبحيرة بمصر سنة (١٩٠٦م)، وهو مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وقتل سنة (١٩٤٩م)، له العديد من المؤلفات، لمزيد تفصيل انظر كتاب: الإخوان المسلمون، للشيخ الفاضل علي الوصيفي. (ض).

طوايا نفسه، ويخشىٰ أن ينشره؛ حرصًا علىٰ الجماعة. أما الحرص علىٰ دين الله...؟؟؟

والأستاذ المرشد - وفقنا الله وإياه إلىٰ قدس رضاه وروحانية هداه - لا ريب يحفظ من كتاب الله - ولا تبديل لكلمات الله -: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)﴾ [البقرة: ٤١-٤٢]، ويتلو من كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤)﴾ [البقرة: ١٧٤].

أقم وجهك للدين حنيفًا يا فضيلة الأستاذ؛ ولا تنس أن عليك تبعة هؤلاء النفر، الذي يلهبهم التحمس لك، والذياد عنك؛ قلها مرة مبتغيًا بها وجه الله؛ ولا تغرنك هذه الكثرة الكاثرة، ولو أعجبك كثرة الخبيث؛ ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

إنك تجعل الرسول زعيمك، والقرآن إمامك، أفمن رسالة زعيمك التوسل بالرمم الشوهاء، والجلاميد الصماء؟![1]

---

(١) هناك أنواع من التوسل يفعلها الناس - منها ما يبلغ حدّ البدعة، ومنها ما يبلغ حد الشرك - ظنًّا منهم أنهم يتقربون إلىٰ الله سبحانه بها، وما علموا أن التقرب إليه إنما يكون بما شرع لا بالأهواء والبدع.

فمن **أنواع التوسل البدعي**: طلب الدعاء من الميت، كمن يأتي إلىٰ ميت مقبور لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ويطلب منه أن يدعو الله له بأمر، كشفاء مريضه أو كشف كربته؛ والدليل علىٰ بدعية هذا التوسل انتفاء الدليل علىٰ جوازه، والعبادة إنما تكون بالاتباع لا بالابتداع، ويدل أيضًا علىٰ بدعية هذا النوع من التوسل: أن الصحابة - وهم الأكثر =

وهل في آية من إمامك القرآن ما يبيح لك إحناء الهامة، وذل الضراعة لمن ضره أقرب من نفعه...؟!

إنك تريد الآلاف بل الملايين... ولكن أتريدهم مؤمنين، يبنون صرح الإسلام

=

علمًا، والأشد اقتداء بسيد الخلق - لم يفعلوا ذلك ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، حتىٰ إن عمر رضي الله عنه عندما حصل قحط بالمدينة قدَّم العباس عمّ النبي ﷺ ليدعو الله بالسقيا، ولم يطلب الدعاء من النبي ﷺ في قبره، لِمَا يعلم من عدم جواز ذلك.

ومن أنواع التوسل التي ابتدعها الناس وهي شرك بالله عز وجل: طلب كشف الكربات وقضاء الحاجات من الأموات، أيًّا كان ذلك الميت رجلًا صالحًا أو نبيًّا مرسلًا، ذلك أن الدعاء هو العبادة، والعبادة لا تصرف إلا للخالق الرازق سبحانه، فدعاء غير الله شرك ومذلة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، فأمر سبحانه أن يكون الدعاء له، ورتب الإجابة علىٰ ذلك؛ وقال أيضًا: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

ومن أنواع التوسل البدعي: التوسل بالجاه والذوات؛ كالتوسل بجاه النبي ﷺ، أو غيره من الخلق.

ومن أنواع التوسل البدعي أيضًا: الإقسام علىٰ الله بفلان من الصالحين أو الأولياء.

فهذه أنواع التوسل في الدعاء وأحكامه، فينبغي للمسلم أن يحرص علىٰ المشروع منه، وأن يجتهد في دعاء الله في أحواله كافة، حتىٰ يعلم الله منه صدق افتقاره إليه فيجيبه ويغيثه؛ وعلىٰ المسلم أيضًا أن يجتنب التوسل البدعي، وأن يبتعد كل البعد عن التوسل الشركي، فإنه الأخطر علىٰ دين المسلم وعقيدته [لمزيد تفصيل: انظر كتاب: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله].

عالي الذرىٰ؟ أم تريدهم هكذا، بأيديهم يهدمون ما بقي من أطلال الدين؟...

علمهم يا شيخ أن الله وحده هو ربهم القوي العزيز، يفزعون إليه ويلجأون إليه، ويقيمون الوجوه له سبحانه خاشعة خاضعة.

أهناك خلاف في أن المشرك ليس بمشرك؟ أهناك طيف شبهة تجعل من يدعو غير الله مؤمنًا بالله؟!

اسمعها نصيحة من شاب كأحد بنيك: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

فَاتْلُ كتاب الله للهدىٰ، وفتش في سنة رسول الله، وحسبك هذه الآية القاطعة الدلالة: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

هذه دعوة مخلصة خالصة، ولعل فضيلة الشيخ يتقبلها بقبول حسن، فيهتف بالحق الساطع: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ونعود إلىٰ ما بدأنا به، فنقول: في شريعة أهل الكتاب، حتىٰ التي حرفوها، وزيغوا في الكثير من دلالاتها، كان التوسل محرمًا؛ كان اتخاذ الأنداد من دون الله كفرًا، كان التوكل علىٰ غير الله، انتزاعًا للنفس من حقيقتها الإيمانية المطهرة، واسمع ما في المزمور السادس والأربعين بعد المائة: «لا تتكلوا علىٰ الرؤساء، ولا علىٰ ابن آدم، حيث لا خلاص عنده، تخرج روحه، فيعود إلىٰ ترابه، في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره؛ طوبىٰ لمن إله يعقوب معينه، ورجاؤه علىٰ الرب إلهه الصانع السموات والأرض، والبحر، وكل ما فيها».

وفي الإصحاح المتمم للعشرين من سفر الخروج يقول: «لا يكن لك آلهة أُخرىٰ أمامي؛ لا تصنع لله تمثالًا منحوتًا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، تسجد لهن، ولا تعبدهن».

أوقن أن كل قارئ يحترم عقله، ودينه يؤمن معي بأن هذه النصوص - فضلًا عن آيات القرآن - قاطعة في تحريم التوكل علىٰ غير الله، وفي تحريم اتخاذ الأنداد لله.

وفي هذا النص: «ولا علىٰ ابن آدم حيث لا خلاص عنده، تخرج روحه فيعود إلىٰ ترابه، في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره»، في هذا النص توجيه للنفس إلىٰ حقيقة ملموسة، وهي أن ليس بيد إنسان شيء من قدر الله؛ وكل إنسان ينقطع عمله بموته.

أسأل الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان: ألا يخزون؟ ألا يخزون إذا يرون الباطل ينطق بالحق؟ ويسمعون الكذب يعترف للصدق؟

ألا تخزىٰ عقولهم؟ وهذا كتاب محتقر لديهم، ينطق بالحق أكثر مما ينطقون؟!.

ورغم هذا بدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم، فرأوا في قساوستهم، ورهبانهم، وأحبارهم، رأوا فيهم أربابًا يفزعون إليهم إذا حاق بهم الضر؛ رأوا فيهم وسطاء بينهم وبين الله، لا يصلون إليه بغير طريقهم؛ وجعلوا من خصائصهم غفران الذنوب، وقبول الطاعات، ويظل الواحد منهم نجسًا، حتىٰ يعمده قس؛ وإذا حضر أحدهم الموت استدعوا له قسيسًا ليعترف بين يديه المحتضر بخطاياه ليغفرها له.

إخال أن القارئ المؤمن تستفزه الآن الحمية لربه، ولكن رويدك، فكفر النصارىٰ إذا قيس بدين من زعموا أن لله شركاء في صورة الأقطاب والأوتاد يتصرفون في ملكه كان إيمانًا!! فالنصارىٰ واليهود ما اعتقدوا في قسيس، ولا حبر أن له القدرة المطلقة علىٰ كل شيء، ولا زعموا أن له تصرفًا في الكون، ولا منحوه

تلك السلطة العظمىٰ، التي يدين بها الصوفية لشيوخهم.

رويدك مرة أخرىٰ، ولا تتهمني بالغلو فيما أذكر، فما عودتك المغالاة، وتعال اقرأ معي ما يقوله صاحب كتاب: النفحات، مفتخرًا بأربابه: «قيل لبعض الصوفية: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أحيي وأميت وأنا علىٰ كل شيء قدير»[١].

فهذا صوفي يزعم لنفسه القدرة المطلقة الشاملة لكل معاني القوة والقدرة، بيديه يحيي الميت، ويميت الحي و.... و...

وتعال اقرأ معي: «قيل لأبي السعود، تلميذ الغوث الجيلاني: هل أعطاك الله التصرف في العالم؟ فقال: نعم، منذ خمسة عشر سنة، وتركته للحق - تعالىٰ - تظرفًا، قال الشيخ الأكبر: «ونحن تركناه أدبًا ومعرفة»[٢].

وقال ابن عربي: «قال أبو السعود لأصحابه المؤمنين به: إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة، وتركناه تظرفًا. هذا لسان إدلال، وأما نحن فما تركناه تظرفًا - وهو تركه إيثارًا - وإنما تركناه لكمال المعرفة[٣]!!.

-[٤] وأظن أن النصارىٰ، واليهود ما بلغوا في كفرهم إلىٰ هذا المدىٰ، التائه في تيه الضلال، ولا هووا إلىٰ هذا الغور السحيق من الشرك، وإلا بربك قل يا من

---

(١) صـ(٦) من كتاب النفحات الأقدسية، طبع سنة ١٣١٤، أعني في القرن الذي نعيش فيه، لا في القرون الوسطىٰ، حتىٰ لا نتهم بنبش قبور الصوفية، وطبع هذا الكتاب في مصر نفسها.

(٢) صـ(٧) من كتاب النفحات.

(٣) صفحة (١٢٩) من كتاب فصوص الحكم، تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي، طبع سنة ١٩٤٦م.

(٤) مجلة الهدي النبوي (١١/ ١٣٦٧).

لك أثارة من عقل: بم تحكم علىٰ قوم يفهمون في مشايخهم هذا الفهم؟ أسيظل الضلال رانيًا علىٰ عقلك؟! وسلطانهم باغيًا عليك؟! فتزعم أن هذه رموز لا ندري معناها!! ويلك ويلك، وأين صراحة البيان إذن إذا كانت هذه النصوص رمزية؟ أعتقد - ولست مخطئًا - أن هذه النصوص أصرح من الصراحة، وأبين من البيان علىٰ أن أولئك شر من اليهود، والنصارىٰ في كفرهم.

ويروي الشعراني في كتابه العهود المحمدية(١) - أو البعراني كما يلقبه أستاذنا الرئيس - أن الشيخ يوسف العجمي، طلب من النهر أن ينقلب لبنًا؛ فأصبح لبنًا! وزعم الشعراني، أن الأولياء - وهم موتىٰ - قد أوتوا القدرة علىٰ تربية المريدين، ومن هؤلاء السيد البدوي، فإن مريديه يسمعون صوته منبعثًا من قبره، وكان الشناوي يستشيره في كل أموره(٢).

ولهذا يوجب الشعراني علىٰ المريد أن لا يعصي شيخه، ولو أمره بعصيان رسول الله ﷺ، ولماذا لا يكون كذلك، وأقطاب الصوفية الذين يقدسهم الشعراني، كانوا لا يقيمون الصلاة، كأمثال: الدشطوطي، وإبراهيم المتبولي، والخواص، بل إن الدشطوطي سافر إلىٰ الحج، ولم يدخل الحرم(٣).

وأوجب الشيوخ علىٰ السالكين الخضوع لأوامرهم، ولو كان فيها معصية لله،

---

(١) صـ(٢٠٥) العهود المحمدية.

(٢) لطائف المنن (ج١/ ص٢٨٩).

(٣) اليواقيت والجواهر (جـ١/ صـ١٢٥)، درر الغواص ص(٥٥-٥٦)، الطبقات (جـ٢/ صـ١٢٥)، والكل للشعراني.

وخروجًا علىٰ قواعد الدين، بالفطر في رمضان، وترك الصلاة[١]؛ وإذا أشرك المريد بشيخه شيخًا آخر كان كمن يشرك بالله[٢]؛ وحق ما يقول الدكتور توفيق الطويل: «ومن هذا نرىٰ أن الولي لم يكن في عرفهم إلهًا صغيرًا، بل كان أعظم من ربهم الذي يدعون الفناء في حبه، والحياة من أجله»[٣].

ومن ذلك الكفر الخبيث المظلم، نقتبس من نور القرآن قبس إيمان، وتوحيد فنذكر بعض آياته، فهي الحق، وهي الفصل، وهي الحكمة. يقول تعالىٰ لرسوله محمد ﷺ، الذي اهتدت برسالته الإنسانية الحائرة: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، هذا رسول الله ﷺ وهو مَنْ هو معرفة لربه، وقربًا من ربه، وحبًّا لربه، وعبودية لربه، يقول له الله تعالىٰ: إنه ليس له من الأمر شيء، ويقول آمرًا له: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١]. ويقول: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣].

ويقول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠]. ويقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. [الرعد: ١٦]

ويقول: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢].

ويقول لمن يدعو الأموات من صالحين وغيرهم: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ

---

(١) السير إلىٰ الله، ص(١٥١٩).

(٢) قواعد الصوفية، للشعراني ص(١٥٤-١٥٥).

(٣) التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ص(١٩٨/ ط١٩٤٦)، تأليف الدكتور توفيق الطويل.

وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٤]. صدق الله العظيم.

قطعت الآيات أن رسول الله ﷺ وهو أكمل البشر، وأعظم نبي، وأسمىٰ رسول، ليس له من الأمر شيء، فهل يكون لأبي السعود التصرف في الكون؟

هل يكون للبدوي أن يسمع لك في قبره، ثم يجيبك علىٰ سؤلك؟

بالله حكم عقلك أيها المتوسل المسكين، وقد قطعت أنه ﷺ لا يملك لنفسه، ولا لغيره ضرًّا، ولا نفعًا، ولا إضلالًا، ولا إرشادًا، فهل يكون ذلك لمشايخ الطريق؟. وقد تقرر أن التوحيد هو أن تدعوا الله وحده، كما تقرر أن هؤلاء الذين يدعونهم في قبورهم لا يسمعون دعاءهم. وأنهم سيكفرون بشركهم يوم القيامة.

تلك نفحة من روح الإسلام الحق، وهذه إشعاعة من نوره الإلهي الأعظم، فقارن بينها وبين ما سبق من زندقة الصوفية، أفنلام إذا أعلناها حربًا شعواء لا هوادة فيها علىٰ الصوفية الذين أحالوا الدين مسخًا مشوهًا، رأسه مجوسية ووسطه يهودية وأدناه نصرانية؟

بالله قل لي ماذا يكون وجه المسلم إن جاءه نصراني وقال له: أنتم تلوموننا علىٰ أننا جعلنا المسيح إلهًا. وهذا شيخكم ابن عربي الذي تلقبونه بأنه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر يجعل عجل السامري إلهًا، ويجعل الكلب والخنزير إلهًا، ويجعل من كل شيء إلهًا؟ ماذا نقول؟ ألست معي في أن من الواجب علينا أن نبرأ كل حين من الصوفية خير من أن نبرأ من الإسلام أو يبرأ منا الإسلام لحظة واحدة. أشهد الله أني مؤمن به وبكتابه ورسوله كافر بالصوفية.

